قضايا

عُيـن الأميـر فريد شـهاب مديراً لمديرية الأمن العام فـي 1948، وبقي في هذه الوظيفة حتـى 1958. وقد ترك كمية كبيرة من سـجلات التنصّت التي وصلت إلى يد الباحث أحمد الأصفهاني، الذي اسـتخلص منها ثلاثة كتب، هي: «في خدمة الوطن: مختارات من الوثائق الخاصة للأمير فريد شهاب»، «أنطون سعادة والحزب السوري القومي الاجتماعي في أوراق الأمير فريد شـهاب»، «لبنـان وصيف الـدم – 1958: وثائق التنصّت على الهاتـف». هنا الجزء الثاني والأخير من قراءة موسـعة في الكتاب الأخير للباحث والكاتب صقر أبو فخر

أحمد أصفهاني يتقصى حكايات وطرائف غريبة وألفاظاً معيبة

تنصّت وتلصّص في لبنان [2/2]

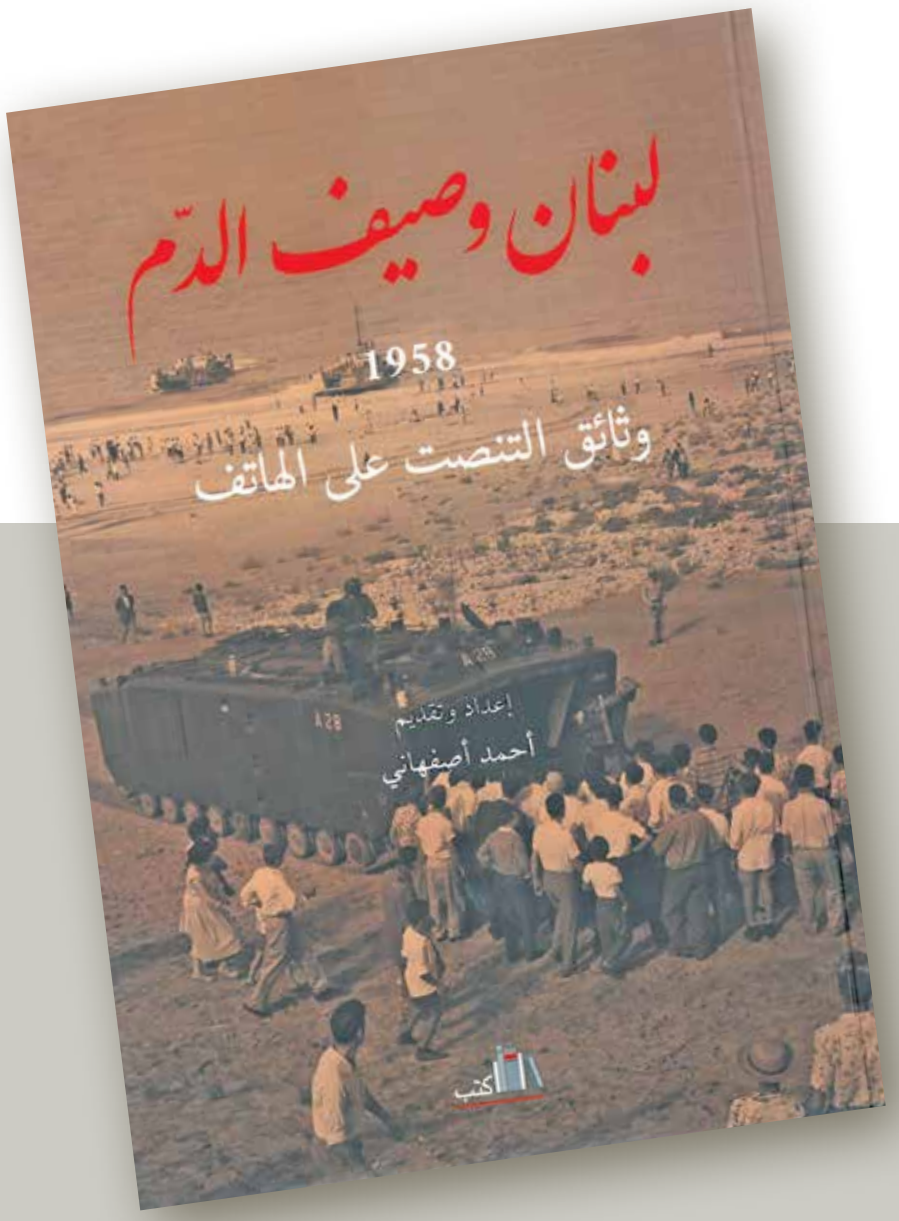

صقر أبو فخر

في الجزء الأول من هذا المقال، شرح الكاتب صقر أبو فخر تاريخ التنصت في لبنان وأهمية العمل الذي قام به الكاتب والباحث أحمد الأصفهاني في قراءته لسجلات التنصت التي تركها الأمير فريد شهاب. هنا متابعة في قراءة ما قالته هذه الوثائق عن شخصيات لبنانية بازرة.

البيارتة الأربعة

تزعّم مدينة بيروت في حوادث عام 1958 أربعة أشخاص، صائب سلام وعبد الله اليافي (من أصول دمشقية وفلسطينية وزوجته تدعى هند العظم)، وعبد الله المشنوق (من مدينة حماة)، وعدنان الحكيم. ويُضاف إليهم كل من نسيم مجدلاني وحسين العويني وبعض القبضايات من عيار حنا يزبك وإبراهيم قليلات ورشاد قليلات وأحمد ستيتية وأحمد المغربي (أبو عباس)، وهؤلاء كانوا متفقين على الوقوف في وجه كميل شمعون الذي ناصب جمال عبد الناصر العداء، ومختلفين على كل شيء تقريبًا. وقد ركّزت سجلات التنصّت على تتبع مكالمات البيارتة الأربعة بالدرجة الأولى، وقلّما عثرنا على تنصّتٍ يطاول كمال جنبلاط وصبري حمادة ورشيد كرامي وأحمد الأسعد وقادة الحزب السوري القومي الاجتماعي. وأثار أولئك البيارتة الأربعة غيظ الجميع، بمن فيهم جمال عبد الناصر نفسه. وعلى سبيل المثال، يروي مايلز كوبلاند، رجل المخابرات الأميركية، أن إميل البستاني وفوزي الحص اقترحا، للخروج من الأزمة اللبنانية آنذاك، أن يلتقي كوبلاند عبد الناصر، وأن يطلب إليه وقف الدعم للبيارتة الأربعة، وأن يتصل، في الوقت نفسه، بالأميركيين لوقف دعمهم كميل شمعون. وفي اللقاء به، قال عبد الناصر لمايلز كوبلاند: لو كانت الأزمة اللبنانية تخصّه وحده من دون سواه، فإن ما سيفعله هو تنصيب اللواء فؤاد شهاب رئيسًا للجمهورية ورشيد كرامي رئيسًا للحكومة [وهو ما حدث في ما بعد]، ثم خرق سفينة البيارتة الأربعة لإغراقها بمن عليها جرّاء ما أذاقوا سفيره عبد الحميد غالب من المرارات (أنظر: مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، أنتر ناشونال سنتر، بيروت، 1970، ص 271). كانت الأموال تتدفق على البيارتة الأربعة من مصدرين: من دمشق مع عضو حركة القوميين العرب سميح البابا، فيتسلّمها أمين الصندوق خالد مطرجي، وهو ضابط سوري متقاعد قاتل في فلسطين، وخال ضابط المخابرات المشهور برهان أدهم؛ ومن القاهرة، فيتسلمها حسن البحصلي. ومع ذلك، لم يتورع هؤلاء البيارتة عن فرض الإتاوات على الشركات والمتمولين. فقد فرض عدنان الحكيم على سكان وادي أبو جميل (الحي اليهودي في بيروت) مائتي ألف ليرة لبنانية (ص 276)، وأجبرت شركة ليا للطيران على دفع مائة ألف ليرة، بعدما صادر أنصار صائب سلام إحدى سياراتها، وهدّدوا الشركة بالنسف (ص 472)، وجرى إرغام آل مكاوي واليافاوي على التبرّع بـ25 ألف ليرة لكل عائلة لمصلحة صائب سلام (ص 473). واشتكى الدكتور عبد الحفيظ طبارة مرارًا من أنه ما عاد قادرًا على الدفع لصائب سلام (ص 476). ومن بين الشخصيات التي تعرّضت للضغط فؤاد علم الدين ومحمد التقي وتيسير بركات وحسن السادات ومحلات أنيس عساف وسميح العلمي من البنك العربي (ص 498)، وبنك مصر وبنك أبو جودة (ص 499). وسرق حزب النجادة سيارة فيات لأحمد الحاج، وعندما راجع صاحبها زعيم النجادة عدنان الحكيم، قال له الأخير: عليك دفع 500 ليرة لإعادتها إليك (ص 511)، تمامًا كما يحصل اليوم في بلدة بريتال البعلبكية، كأن شيئًا لم يتغير منذ ستين عامًا. وكانت المجموعات المسلحة التابعة للبيارتة الأربعة تقوم بعمليات التفجير والقتل، ثم ترمي ذلك على أنصار الحزب السوري القومي الاجتماعي، مثل حادثة نسف الترامواي في محطة الناصرة (ص 204)، وتفجير باب إدريس الذي نفذه خليل شهاب الدين، وأخبر مصباح سلام ضاحكًا: هيدول القوميين العكا..يت بلّي رميوها، أي العبوة الناسفة (ص 338). ومصباح سلام هو شقيق صائب سلام الذي اتهم بتزوير سندات الملكية الخاصة بـ«أرض الغدير» الملاصقة لمطار بيروت الدولي. وعلى غرار ذلك من الكذب والافتراء، أخبر عدنان الحكيم سفير مصر في لبنان، عبد الحميد غالب، بأن هناك عشرة من القوميين السوريين تسلموا جوازات سفر إسرائيلية، وسافروا إلى يوغوسلافيا، حيث كان الرئيس عبد الناصر يزور ذلك البلد، فما كان من السفير إلا أن أجابه: «كلام فارغ يا عدنان» (ص 363). وأخبر نسيم مجدلاني مصباح سلام عن مجموعةٍ في منطقة كركول الدروز في بيروت، توقف السيارات وتجبي الأموال من الركاب، فردّ مصباح سلام: هودي [هؤلاء] قوميين. فقال له: مجدلاني: بيناتنا، هودي من جماعتنا (ص 364). وأصدرت هيئة المقاومة الشعبية التي كان يقودها صائب سلام بيانًا استنكرت فيه الانفجار في بناية الغراوي، وألقت بالمسؤولية على عصابات كميل شمعون (ص 256). لكن عبد الحفيظ كريدية اعترف بأنه هو الذي فجّر القنبلتين أمام سينما أمبير (ص 457). ولم يتورّع عدنان الحكيم، بحسب عبد الله المشنوق الذي أخبر صائب سلام عن الحادثة، عن قتل عبد الله نور الله، وهو من حزب النجادة (ص 509). وفي ما بعد، كشف رشيد شهاب الدين أن عدنان الحكيم أمر زهير رسلان الغراوي بقتل عبد الله نور الله (أنظر: رشيد شهاب الدين، بين رحى المخابرات العربية والغربية واليد الخفية الصهيونية، إصدار خاص، بيروت، لا تاريخ، ص 126).

> اشتُهرت حكاية كمال جنبلاط في مجلس النواب، حين غضب من صائب سلام، وحار كيف يشتمه
>
> المال والسلطة أساس التجربة اللبنانية، وفي سبيلهما لا تتورّع القوى السياسية المتعصبة عن اللجوء إلى العنف وفصد الدم

اللغة السياسية المنحطّة

اشتُهرت حكاية كمال جنبلاط في مجلس النواب اللبناني، حين غضب من صائب سلام، وحار كيف يشتمه، فلم يجد غير عبارة «يا حبقوق»، لتعبر عن غضبه، وراح النواب يتساءلون عما يعني بكلمة «حبقوق»، ليكتشفوا أن حبقوق هو أحد أنبياء التوراة، وسفر حبقوق في العهد القديم هو من أقصر الأسفار. وكان جنبلاط حين يستغيب خصمه كميل شمعون، لا يتجاوز الأدب، فيقول عنه «هالمنحوس» (ص 89). لكن البيارتة الأربعة كانوا يتفنّنون في شتائمهم، فصائب سلام الذي كان يصف ريمون إدّة بـ«السعدان»، وكميل شمعون بـ«الجرذون» (ص 293)، لا يتردّد في القول لحسين العويني: قل لحسن البحصلي أن يقول لأولاد المكاوي والبلطجي ولإبراهيم المصري خليهم يستحوا بقى، والمصاري يلّي بعتوها يجوا ياخدوها ويدحشوها بط... هم (ص 192). وكان صائب سلام يقول عن حليفه عدنان الحكيم: «هذا العكر..ت» (ص201). أما إلياس ربابي، من حزب الكتائب، المعروف بعلاقته مع إسرائيل وبفساده المالي، فقد سُجّل له الكلام التالي: «ك...أخت ها العهد الخ...، وك...إخت شمعون» (ص 78). فيما قال كاظم الخليل عن أحمد الأسعد: ك... إخت يلّي بزرو، عكر..ت» (ص 82). ولبيار الجميل، زعيم حزب الكتائب، حصة من هذا الانحطاط اللساني، فقال مرة عن رشيد كرامي: «شو هالخ... رشيد» (ص 93). وكذلك عبد الله اليافي، وهو أول لبناني سُنّي يحوز الدكتوراه في القانون من جامعة السوربون، والذي كان لا يتورع عن استغابة محمد خالد بالقول: «هيدا واحد عكر..ت بيلحوس طي... رئيس الجمهورية. هيدا جحش وبغل الرئيس، وبعدكم مدحوشين بطي..وا؟» (ص 143). أما التاجر عارف دمشقية، حين عاتبه بدوي الفيومي، لأنه فتح محله التجاري إبّان الإغلاق فقد انفتحت قريحته بالسباب، وراح يقول: «ك... إخت إلّي قلّك، أخو شر... طة، واحد كذاب عك..ت. ها الأخوات الشر... طة بيت هاشم إلّي جنبي، هودي عكا..يت إخوات شر... طة عم يفتحوا، لو بتدبروهم» (ص191). وهناك شخص يدعى أحمد البولند، وربما لاوند، خاطب الحاج حسين العويني بالقول: «إذا ناويين على رئيس الجمهورية روحوا هاجموه، يا بتن..وا عرضوا يا بين..ك عرضكم» (ص 208). وحين أقفل عبد الله اليافي الهاتف في وجه شخص يدعى منير العتر، قال الأخير: «سكّر الخط أخو الشر...طة، يلعن عرضو عكر..ت» (ص 226). وعندما كان ريمون إدّة يدعو الوجيه إبراهيم حيدر إلى التمسك بالدستور، ردّ إبراهيم حيدر: «ك... إخت الدستور، مين ما خرقوا بعد؟ فأجابه ريمون إدّة: «إنت صرت مفتّح نص دزينة بنات في [بلدة] اللبوة. القانون ما بيسمح». فردّ إبراهيم حيدر بلؤم: «مش باللبوة، بل في بيروت» (ص 441). أما رشيد شهاب الدين، قائد المقاومة الشعبية في ما بعد، فيقول عن حليفه عدنان الحكيم: «زب...ي، ك... إختو، عكر..ت» (ص 464). وحتى إبراهيم قليلات، الذي قتل شخصًا يدعى إيفانوف، كان يعمل مساعدًا لبروسبيار غيبارا، الذي كان يدير بعض صالات القمار في منطقة الزيتونة لأنه تلكأ في دفع الإتاوة، يقول لمصباح سلام: «مين هم هالعكار..ت بيت شهاب الدين؟» (ص 482).

نساء وشيوخ وأكراد واحتيال

في 1956/2/17، وبحسب سجلات التنصّت، قاد الشيخ حسن خالد، مفتي الجمهورية اللبنانية في ما بعد، تظاهرة بعد صلاة الجمعة للاحتجاج على مشاركة لاعباتٍ مسلمات في مصر في إحدى المباريات بلباس الشورت. وأراد عدنان الحكيم أن ينقل هذا الاحتجاج عبر رسالةٍ في هذا الشأن إلى السفير المصري عبد الحميد غالب، فما كان من السفير إلا أن قال له متبرّمًا: «كل هالكلام دا كلام فارغ. مش مستعد ضيّع دقيقة من وقتي في أشياء سخيفة من هذا النوع. يلّي عاجبو عاجبو، ويلّي مش عاجبو يروح ينفلق... إيه الغباوة دي والكلام السخيف». ثم جاءت الوفود المستنكرة إلى عدنان الحكيم، فما كان منه إلا أن هاتف عبد الحميد غالب قائلًا له: «بحثنا الموضوع [مع المحتجّين] ونقلت لهم كلام سعادتك، وكانوا ممنونين، واحتجاجهم كان غير مقصود». ثم حوّل الهاتف إلى الشيخ أحمد العجوز، الذي راح يقول للسفير عبد الحميد غالب: «نحنا منفتخر بالحكومة المصرية، لأنها رفعت رأس الاسلام. أما الشيء الذي دعانا إلى أن نُرسل إليكم المكتوب [رسالة الاحتجاج] فهو التمرينات الرياضية التي قامت بها البنات اللبنانيات». فأجابه عبد الحميد غالب: «هذا استعراض رياضي، ولدينا بنات متطوّعات، ويحملن سلاح. ولو كنّ لابسين شورت وهنّ حاملين السلاح ما عيب أبدًا» (ص 104 و105). غير أن حركة الاحتجاج هذه لم تكن تحظى بالإجماع البيروتي؛ فعبد الله نورالله يقول لعدنان الحكيم: «ها الجماعة يلّي عم يعملوا تلغرافات [للسفير المصري] يروحوا يشوفوا بنت النصولي بالشورت. ك... إخت عيالهم عكر..ت. أنا عندي صورة لسوسن النصولي عم تقفز ولابسة شورت. كان عشها مبيّن... ومحمد سلام قاعد عم يتفرّج عليها» (ص 106). ويلوح لي من خلال سجلات التنصت المسطورة في هذا الكتاب أن بعض النساء كان لهن شأن مهم في توصيف الأحوال. فها هي زوجة عدنان الحكيم تخاطب محمد علي الرز بقولها: شمعون أحسن من صائب سلام بألف مرة، فيجيبها الرز: 4000 قتيل حطهم [صائب سلام] برقبتو لأنو ما طلع نائب هالعكر..ت» (519). وورد اسم عايدة قباني امرأة تحاول إيقاع الفتنة بين الناس، وكثيرًا ما هدّدت بأنها ستفضح صائب سلام (ص 483).

يبدو أن قصص الخلاف بين كمال جنبلاط وزوجته مي أرسلان كانت شائعة. وفي هذا المجال، يسأل بيار الجميل نسيب المُتْني عن أحوال جنبلاط وزوجته، ويضيف: طبعها يختلف عن طبع جنبلاط، وعقليتها غير عقليته. فيجيبه المُتْني: مش مناسبة، خليها تروح ويخلص (ص 75). أما كمال جنبلاط نفسه فأظهر توجسّه من خطةٍ يُعدّها كميل شمعون، لتزويج الأمير مجيد أرسلان إمرأة من آل جنبلاط [خولة جنبلاط] لتوحيد العائلتين. وبناء على هذه الخطة، يترشّح صلاح جنبلاط ضد كمال جنبلاط في الشوف، ويتحمّل رشيد جنبلاط تكاليف الحملة الانتخابية (ص 89). ومن طرائف تلك الحقبة قصة تحوّل بعض الأكراد إلى المارونية لاكتساب الجنسية اللبنانية، فيخبر محمد شقير بيار الجميل بأن الأكراد يحاولون الحصول على الجنسية اللبنانية منذ ثلاثين سنة، فلم يستطيعوا. وعند ذلك، ذهبوا إلى أحد الخوارنة في بلدة حراجل الكسروانية الذي راح يعمّدهم ويجعلهم موارنة، ويمنحهم أوراق عمادة.

(كاتب عربي)

من عجائب لبنانية

من عجائب لبنانية ما برحت تتكرّر أن ميشال أبو جودة، رئيس تحرير صحيفة النهار اللبنانية لاحقاً، تلقى اتصالاً من أحد الصحافيين في دمشق، يستفسر عن أخبار وردته عن إعلان الثورة في منطقة الهرمل، وأن نحو مئة وخمسين مسلحًا من آل جعفر وآل حمادة هاجموا ثكنة الدرك، ودامت المعركة ثلاث ساعات. وشغل صبري حمادة بهذه الأنباء، وكان في دمشق، إلى أن تلقى هاتفًا من شخص يدعى أبو عاصي، قال له: ما في شي منو. هناك أشخاص من بيت زعيتر سارقين كم راس ماشية!!

النص الكامل
على الموقع الالكتروني